

ورؤية الإنسان يُعبّر عنها من خلال اللغة، وطريقة التعبير بدورها تؤثر في الرؤية، فنحن نتأثر بالنظام الإشاري الذي نستخدمه. ولكن توجد وراء هذه الصيرورة اللغوية إنسانية مشتركة خارج النظام الإشاري (مدلول متجاوز)، ولذا فهي قادرة على إعادة صياغة النظام الإشاري. ولذا، فنحن يمكننا الحديث عن الكليات كأن نقول: «قتل الأطفال أمر بشع»، وهي نفس الإنسانية المشتركة التي تجعلنا نفر من إنسان يقتل طفلاً. واللغة قد تسبق الوعي والكلام والتعبير الفردي، ولكنها لا تسبق هذه الإنسانية المشتركة.

ونحن نعرف أن ثمة انفصلاً بين الدال والمدلول، ولكن إدراكنا لوجود الإنسانية المشتركة يجعلنا نستمر في استخدام اللغة رغم قصورها ورغم ما قد يعتور ممارستنا من أخطاء.

وقد قال النحوي القديم: «أموت وفي نفسي شيء من حتى»، إذ إنه قضى حياته يبحث عن المعنى الدقيق لهذه الكلمة، وجمع الكثير من المعرفة، ولكنه يعرف أن فوق كل ذي علم عليمًا. ولذا فهو يموت وهو يعرف أنه لم يصل إلى الحقيقة المطلقة، ولكنه لم يغص في العدمية، فالاجتهاد مستمر، والنسق مفتوح، ليموت الرجل وهو مطمئن البال أنه قد اجتهد وأصاب قدرًا من المعرفة، وأن الآخرين سيستمرون فيجتهدون ويصيبون فيكون لهم أجران، ويجتهدون ويخطئون فيكون لهم أجر واحد. وسواء أصابوا أم أخطئوا، فإن المعرفة تظل بلا نهاية، فالله - كما يعرف الجميع بإنسانيتهم المشتركة - أعلم.

انفصال الدال عن المدلول في الحضارة الغربية الحديثة؛

انفصال الدال عن المدلول - كما أسلفنا - ليس قضية لغوية فلسفية، وإنما قضية معرفية عميقة الدلالة، لها أساس راسخ في بنية الحضارة الغربية، سواء أكان توجهها المعرفي (الكلي والنهائي) أم في بنيتها وإيقاعها الحضاري. وأهم الدوال في الحضارات التقليدية هو الإله (المدلول المتجاوز)، فقد قامت الحضارة الغربية الحديثة